Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عطفه على منكوبى حريق ميت غمر

فى سنة ١٩٠٢ شب حريق مروع فى مدينة ميت غمر، وبقيت النار مشتعلة فيها عدة أيام، فدمرت كثيرًا من دورها ومات فى الحريق كثيرون؛ ولعظم النكبة تسابق أهل الخير فى إعانة المنكوبين وإسعافهم، وفاضت أعمدة الصحف بأنباء ما أصابهم، وفى ذلك أنشأ حافظ قصيدته المشهورة فى وصف هذه الكارثة والعطف على ضحاياها. قال:

سائلوا اللَّيل عنهمُ والنَّهارا ... كيف باتت نساؤهم والعَذَارَى؟
كيف أمْسَى رضيعهم فَقَدَ الأُ ... مَّ وكيف اصطلى مع القومِ نارًا؟
كيف طاح العجوز تحت جِدار ... يتداعَى وأسْقُفٍ تَتَجارَى؟
رَبِّ إنّ القضاء أنحى عليهم ... فاكشف الكَربَ واحجُب الأَقْدَارا
ومُرِ النَّارَ أنْ تَكُفَّ أذاها ... ومر الغيث أن يسيل انهمارا
أين طوفان صاحب الفُلْك يُروِى ... هذه النَّار فهى تشكو الأُوارا[1]
أشعلتْ فَحْمةَ الدَّياجى فباتت ... تملأُ الأرض والسَّماء شَرارا
غَشِيتْهم والنَّحْسُ يَجْرِى يَمينًا ... ورَمَتْهُم والبُؤْسُ يَجْرِى يَسارا
فأغارتْ وأوْجهُ القوم بِيضٌ ... ثمّ غَارَتْ وقد كَسَتْهُنَّ قارا
أكلت دورهمْ قلّما استَقَلَّت ... لم تُغادرْ صغارَهُمْ والكِبارا
أخْرَجتْهُمْ من الديار عُراةً ... حَذَرَ المَوت يطلبون الفِرارا
يَلْبَسُونَ الظلام حتّى إذا ما ... أقْبَل الصبح يلْبسونَ النَّهارا
حُلَّة لا تَقيهُم البَرْدَ والحَـ ... ـرَّ ولا عَنْهُمُ تَرُدُّ الغُبارا
أيّها الرَّافلون فى حُلَلِ الوَشْـ ... ـى[2] يَجُرَّنَ للذُّيول افْتِخارا
إنّ فَوْق العراءِ قومًا جِياعًا ... يَتَوَارَوْنَ ذِلَّةً وانكِسارا
أيُّهذا السَّجينُ[3] لا يمنع السِّجْـ ... ـن كريمًا منْ يُقيل العثارا
مُرْ بِألْفٍ لهم وإنْ شئْتَ زِدْهَا ... وأَجِرْهُمْ كما أجَرْتَ النَّصارى

* * *

(١) الأوار: شدة الحرارة والعطش.
(٢) حلل الوشى الثياب المزركشة.
(٣) يقصد أحمد المنشاوى باشا المحسن وصاحب المبرات المعروفة.